

رمضانيات

فتوحات إسلامية

الجمعة 19 رمضان 1440 هـ / 24 مايو 2019 - السنة الثالثة عشرة الوسط Friday 24th May 2019 - 13 th year

10 alwasat.com.kw

إعداد:
هشام المنشاوي

الحلقة
17
قتال مريير خاضه ثلاثة آلاف رجل

«مؤتة».. أعظم حرب دامية خاضها المسلمون



بدء الحرب وتناوب القادة

وهناك في مؤتة التقى الفريقان، وبدأ القتال المريع، ثلاثة آلاف رجل يواجهون مائتي ألف مقاتل. أخذ الراية زيد بن حارثة وجعل يقاتل بضراوة بالغة، فلم يزل يقاتل حتى شاط في رماح القوم، وخر صريعاً. وحينئذ أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، وطفق يقاتل قتالاً منقطع النظير، حتى إذا أرفقه القتال اقتحم عن فرسه الشقراء فخرها، ثم قاتل حتى قطعت قطعته فأخذ الراية بشماله، ولم يزل بها حتى قطعت شماله، فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعاً إياها حتى قتل.

روى البخاري عن نافع، أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر يؤمُّهُ وهو قاتل، فعددت به خمسين بين طعنة وضربة، ليس منها شيء في صدره، يعني ظهره. وفي رواية أخرى قال ابن عمر: كنت فيهم في تلك الغزوة،

الراية إلى خالد بن الوليد

وحينئذ تقدم رجل من بني عجلان، اسمه ثابت بن أقرم، فأخذ الراية وقال: يا معشر المسلمين، اصطالحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطالح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية قاتل قتالاً مريعاً، فقد روى البخاري عن خالد بن الوليد قال: لقد انقلعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفحة يمانية، البخاري (4266) وقد قال النبي يوم مؤتة: مخبراً بالوحي، قبل أن يأتي إلى الناس الخبر من ساحة القتال: (أخذ الراية زيد فاصيب، ثم أخذ جعفر فاصيب، ثم أخذ ابن رواحة فاصيب، وعيناه تذرْفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم). البخاري (611/2)

أثر المعركة

وهذه المعركة وإن لم يحصل المسلمون بها على الثأر، الذي عانوا مراراً لآله، لكنها كانت كبيرة الأثر لسمعة المسلمين، إذ أدهمت العرب كلها بقبائلها، فقد كانت الدولة البيزنطية أكبر وأعظم قوة على وجه الأرض، وكانت العرب تظن أن قتالها هو القضاء على النفس، فكان لقاء هذا الجيش الصغير - ثلاثة آلاف مقاتل - مع ذلك الجيش الكبير - مائتا ألف مقاتل - ثم الرجوع عن الغزو من غير أن تلحق به خسارة كبيرة، يعد عظيمًا مما رفع من شأن الدولة الإسلامية الناشئة.

وكانت هذه المعركة بداية لسلسلة معارك كثيرة بين المسلمين والرومان، انتهت بانتهاز الدولة البيزنطية على يد الدولة العثمانية وذلك عند سقوط مدينة القسطنطينية على يد محمد الثاني عام 1453م.

تحرك الجيش الإسلامي



وتحرك الجيش الإسلامي في اتجاه الشمال حتى نزل معان، من أرض الشام، مما يلي الحجاز الشمالي، وحينئذ نقلت إليهم الاستخبارات بأن هرقل نازل بماب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من لخم وجذام وتبَلَّغَ وبَهْرَاءَ وبلي مائة ألف.

ولم يحن جيش المسلمون أدخلوا في حسابهم لقاء مثل هذا الجيش العرمرم - الذي بوغتوا به في هذه الأرض البعيدة - وهل يهجم جيش صغير قوامه ثلاثة آلاف مقاتل فحسب على جيش كبير عرمرم مثل البحر الخضم قوامه مائتا ألف مقاتل؟ حار المسلمون، وأقاموا في معان ليلتين يفكرون في أمرهم، وينظرون ويتشاورون، ثم قالوا: نكتب إلى رسول الله، فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له. ولكن عبد الله بن رواحة عارض هذا الرأي، وشجع الناس، قائلاً: (يا قوم والله إن التي تكروهن لئتي خرجتم تطلبون، الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور، وإما شهادة.. فإلهيت كلماته مشاعر المجاهدين، واندفع زيد بن حارثة بالمسلمين إلى منطقة مؤتة (جنوب الكرك بالشام)، حيث قاتل الروم هناك، فكانت ملحمة كبيرة، سجل فيها القادة الثلاثة بطولة عظيمة انتهت باستشهادهم..

ثم اتفق المسلمون على امرأة خالد بن الوليد - رضي الله عنه - فحمل الراية وأخذ يقاتل ويحاول إنقاذ الجيش من هذا المأزق الخطير، بالانسحاب المنظم من أرض المعركة، وقاتل الانسحاب شاق ومن أصعب العمليات العسكرية، حتى دخل الليل فكان هدته مؤتة، فأعاد خالد فيها تنظيم جيشه، وهجم على الروم بعد الفجر وقتل منهم الكثير، واستشهد من المسلمين اثنا عشر رجلاً فقط، ورجع خالد - رضي الله عنه - بجيشه إلى المدينة.. ويمكن القول إن خالدًا خطخته وشجاعته، قد أنقذ المسلمون من هزيمة ماحقة، ولا تعد خسائر المسلمين شيئاً يذكر، بجانب خسائر النصارى.

وحينئذ بعد أن قضى جيش المسلمين ليلتين في معان، تحركوا إلى أرض الروم، حتى لقيتهم جموع هرقل بقرية من قرى البلقاء يقال لها "شارف" ثم دنا منهم، وانحاز المسلمون إلى مؤتة فمسكروا هناك، وتعبأوا للقتال، فجعلوا على ميمنتهم قُطْبِيَّةَ بن قتادة العُدْرِي، وعلى اليسرة عبادة بن مالك الأنصاري.

نهاية القتال



وكان عجايب أن ينجح هذا الجيش الصغير في الصمود أمام ذلك الجيش الكبير من الروم، ففي ذلك الوقت أظهر خالد بن الوليد مهارته في تخليص المسلمين مما لوقه في تلك المعركة.

المعركة أخيراً، ويظهر بعد النظر في جميع الروايات أن خالدًا بن الوليد نجح في الصمود أمام جيش الرومان طول النهار، في أول يوم من القتال. وكان يفكر بمكيدة حربية تلقى الرعب في قلوب الرومان بحيث ينجح في الانحياز بالمسلمين من غير أن يقوم الرومان بحركات الصطادة. فقد كان يعرف جيداً أن الإفلات منهم صعب جداً لو اكتشف المسلمون، وقام الرومان بالمطاردة. فلما أصبح اليوم الثاني اعتمد خالد بن الوليد في خطته على الحرب النفسية حيث

غزوة مؤتة أو سرية مؤتة، جرت الغزوة في جمادي الأول من العام الثامن للهجرة (أغسطس 629 م) بسبب قتل الصحابي الحارث بن عمير الأزدي رسول النبي محمد إلى ملك بصرى على يد شرحبيل بن عمرو الغساني والي البلقاء الواقع تحت الحماية الرومانية؛ إذ أوفقه رباطا وقدمه فضرب عنقه. ولفظ غزوة يطلق على أي قتال لكفار، قتاده الرسول محمد بنفسه أو بجيش من قبله ولو لم يشارك فيه. ففي غزوة مؤتة لم يشارك النبي في أحداثها، لكن الأمر انطلق منه صلى الله عليه وسلم وتحت إشرافه مباشرة. وقد وضع الحافظ بن حجر في شرح كتاب المغازي في صحيح البخاري: ((المغازي جمع مغزى، يقال: غزا بغزوا وغزوا وغزى، والمراد بالمغازي هنا ما وقع من قصد النبي **Mohamed peace be upon him.svg** الكفار لنفسه أو بجيش من قبله)). سبب الغزوة: سبب هذه المعركة أن النبي محمد بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتابه إلى عظيم بصرى، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني - وكان عاملاً على البلقاء من أرض الشام من قبل قيصر - فأوفقه رباطاً، ثم قدمه فضرب عنقه، وكان قتل السفراء والرسول من أشنع الجرائم، يساوي بل يزيد على إعلان حالة الحرب، فأشند ذلك على النبي محمد حين نقلت إليه الأخبار، فجهز إليهم جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وهو أكبر جيش إسلامي لم يجتمع مثله قبل ذلك إلا في غزوة الخندق.

وصية الرسول لامرأة الجيش: **أمر الرسول لpeace be upon him.svg** علي هذا البعث زيد بن حارثة، وقال: (إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعيد الله بن رواحة)، وعقد لهم لواء أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا بالله عليهم، وقاتلوهم، وقال لهم: (اغزوا بسم الله، في سبيل الله، من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة، ولا كبيراً فانياً، ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقطعوا نخلاً ولا شجرة، ولا تهدموا بناءً). وقد خرجت نساء المسلمين لتوديع أزواجهن وهن يقفن ((ردكم الله إلينا صابرين)) فرد عبد الله بن رواحة وقال ((أما أنا فلا ردي الله)).

عند مدينة مؤتة توقف المسلمون، وكان عددهم ثلاثة آلاف، وعدد الغساسنة والروم مئتا ألف. اختار المسلمون بقيادة زيد بن حارثة، الهجوم على الدين نطينين وتم الهجوم بعد صلاة الفجر وكان اليوم الأول هجوماً قوياً، في صالح المسلمين لأن الروم والغساسنة لم يتوقعوا من جيش صغير البدء بالهجوم. وفي اليوم الثاني، بادر المسلمون أيضاً بالهجوم وكان من صالح المسلمين، وقتل كثير من الروم وحلفائهم. أما في اليوم الثالث فقد بادر الروم بالهجوم وكان أصعب وأقوى الأيام وفيه استشهد زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة. واختار المسلمون خالدًا بن الوليد قائداً لهم.

أعظم حرب دامية خاضها المسلمون

عودة الجيش إلى المدينة



استشهد من المسلمين اثنا عشر رجلاً، أما الرومان فقتل منهم ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون رجلاً.

وقال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير، قال (لما دنونا من حول المدينة لتقاوم الرسول والمسلمون، قال ولقيهم الصبيان يشتدون والرسول مقبل مع الرسول على دابة فقال «خذوا الصبيان فاحملوهم، وأعطوني ابن جعفر. فأتى يعبد الله فأخذه فحمله بين يديه. قال وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون يا فرار فررت في سبيل الله، قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسوا ناجحاً من كارثة محتمة.